

أ. د. ناصر القفاري[*]

N0380@hotmail.com

@Prof_Alqefari

كان المسلمون على ما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول، فلما قتل عثمان - رضي الله عنه وأرضاه - ووقعت الفتنة، واقتتل المسلمون بصفين؛ مرقت المارقة التي قال فيها النبي ﷺ: «تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين، يقتلهم أولى الطائفتين بالحق»[1]، وكان مروقها لما حكم الحكمان، وتفرق الناس على غير اتفاق.

ثم حدث بعد بدعة الخوارج بدعة التشيع[2]، وتتابع خروج الفرق، كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ، وقد خرج التشيع من الكوفة[3]، ولذلك جاء في أخبار الشيعة أنه لم يقبل دعوتهم من أمصار المسلمين إلا الكوفة[4].

فهم يقرون بأنه لم يقبل نحلتهم سوى الكوفة، وهو يعني أنهم لم يكن لهم وجود أصلاً في بلاد المسلمين، لأن الكوفة إنما أصبحت مِصراً ما بين ١٧ و١٩هـ، في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[5]، ثم إنها لم تكن موطناً إلا للتشيع السبئي، وكان ذلك بسعي من السبئية اليهودية، كما أثبت ذلك المحققون، وكان ذلك في آخر خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم مع إقرارهم بأن موطن التشيع الأول هو الكوفة يتناقضون حين يزعمون أن نحلتهم قديمة، وأن التشيع قديم ولد قبل رسالة النبي ﷺ، وأن «ولاية عليٍّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد - صلى الله عليه وآله -، ووصية عليٍّ - عليه السلام -»[6].

(*) أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة.

(١) انظر: صحيح مسلم (بشرح النووي) كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧/ ١٦٨.

(٢) انظر: منهاج السنة لابن تيمية ١/ ٢١٨ - ٢١٩.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٠/ ٣٠١.

(٤) بحار الأنوار ١٠٠/ ٢٥٩.

(٥) انظر: معجم البلدان (٤/ ٤٩١).

(٦) الكليني/ أصول الكافي ١/ ٤٣٧.

حتى إنهم يزعمون أن أولي العزم من الرسل ما سموا بذلك إلا «لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده، والمهدي وسيرته، وأجمع عزمهم على أن ذلك كذلك والإقرار به»[١].

وجاء في كتابهم المعتمد لديهم «بحار الأنوار» أن رسول الله ﷺ قال - كما يزعمون -: «يا علي، ما بعث الله نبياً إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً»[٢]. وفي رواية أخرى لهم عن أبي جعفر قال: «إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين بولاية علي»[٣].

وعن أبي عبد الله قال: «ولايتنا ولاية الله لم يبعث نبي قط إلا بها»[٤]، وعقد لذلك شيخهم البحراني باباً بعنوان: «باب أن الأنبياء بعثوا على ولاية الأئمة»[٥]، وقالوا: ثبت أن جميع أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعلي بن أبي طالب مجيبين، وثبت أن المخالفين لهم كانوا له ولجميع أهل محبته مبغضين، فلا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين فهو إذن قسيم الجنة والنار[٦].

وجاءت رواياتهم في هذا المعنى في كثير من كتبهم المعتمدة عندهم: في الكافي[٧]، والوافي[٨]، والبحار[٩]، ومستدرك الوسائل[١٠]، والخصال[١١]، وعلل الشرائع[١٢]، والفصول المهمة[١٣]، وتفسير فرات[١٤]، والصافي[١٥]، والبرهان[١٦]، وغيرها، حتى قال الحر العاملي صاحب وسائل الشيعة - أحد مصادرهم المعتمدة في الحديث - إن رواياتهم التي تقول إن الله حين خلق الخلق أخذ الميثاق على الأنبياء تزيد على ألف حديث[١٧].

ولم تكتفِ مبالغاتهم بذلك، بل زعموا أن «الله عز اسمه عرض ولايتنا على السماوات والأرض والجبال والأمصار»[١٨]. ولهذا قال شيخهم هادي الطهراني: «تدل بعض الروايات على أن كل نبي أمر بالدعوة إلى ولاية علي - رضي الله عنه -، بل عرضت الولاية على جميع الأشياء فما قبل صلح، وما لم يقبل فسد»[١٩].

هذا قولهم المستفيض في مصادرهم عن نشأة معتقدهم، وهو كما يقول شيخ الإسلام: «أشبه بكلام المجانين؛ إذ كيف يؤخذ على من قبلنا من الأنبياء وأممهم الميثاق على طاعة علي في إمامته، فإن أولئك ماتوا قبل أن يخلق الله عليّاً فكيف يكون أميراً عليهم! وغاية ما يمكن أن يكون أميراً على أهل زمانه، أما الإمارة على من خلق قبله، وعلى من يخلق بعده فهذا من كذب من لا يعقل ما يقول، ولا يستحيي مما يقول.. وهذا من جنس قول ابن عربي الطائي وأمثاله من ملاحدة المتصوفة الذين يقولون: إن الأنبياء كانوا يستفيدون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء والذي وجد بعد محمد بنحو ستمائة سنة، فدعوى هؤلاء في الإمامة من جنس دعوى هؤلاء في الولاية، وكلاهما يبني أمره على الكذب والغلو والشرك والدعاوى الباطلة، ومناقضة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة»[٢٠].

وقد أجمع المسلمون على أن الرجل لو آمن بالنبي ﷺ وأطاعه، ومات في حياته قبل أن يعلم أن الله خلق أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً لم يضره ذلك شيئاً، ولم يمنعه من دخول الجنة؛ فإذا كان هذا في أمة محمد ﷺ فكيف يقال: إن الأنبياء يجب عليهم الإيمان بواحد من الصحابة؟!»[٢١].

لقد كانت دعوة الرسل - عليهم السلام - إلى التوحيد لا إلى ولاية علي والأئمة كما يفترون.

---

(١) الكليني/ الكافي ١/ ٤١٦، وانظر: ابن بابويه القمي/ علل الشرائع ص١٢٢، الكاشاني/ الصافي ٢/ ٨٠، تفسير القمي ٢/ ٦٥، هاشم البحراني/ المحجة ص٦٣٥ - ٦٣٦، المجلسي/ البحار ١١/ ٣٥، ٢٦/ ٢٧٨، الصفار/ بصائر الدرجات ص٢١.

(٢) انظر: البحار ١١/ ٦٠ ، البحراني/ المعالم الزلفى ص٣٠٣ ، وهذه الرواية موجودة في بصائر الدرجات للصفار، وفي الاختصاص للمفيد.

(٣) المعالم الزلفى ص٣٠٣.

(٤) النوري الطبرسي/ مستدرك الوسائل ٢/ ١٩٥، المعالم الزلفى ص٣٠٣.

(٥) المعالم الزلفى ص٣٠٣.

(٦) الكاشاني/ تفسير الصافي ١/ ١٦.

(٧) الكليني/ أصول الكافي ٢/ ٨.

(٨) الكاشاني/ الوافي المجلد جـ ٢ ص١٥٥، جـ ٣ ص١٠.

(٩) المجلسي/ البحار ٣٥/ ١٥١، القمي/ سفينة البحار ١/ ٧٢٩.

(١٠) النوري/ مستدرك الوسائل ٢/ ١٩٥.

(١١) الصدوق/ الخصال ١/ ٢٧٠.

(١٢) الصدوق/ علل الشرائع ص١٢٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٣، ١٤٤، ١٧٤.

(١٣) الحر العاملي/ الفصول المهمة ص١٥٨.

(١٤) تفسير فرات ص١١، ١٣.

(١٥) تفسير الصافي ٢/ ٨٠.

(١٦) البحراني ١/ ٨٦.

(١٧) الفصول المهمة ص١٥٩.

(١٨) النوري/ مستدرك الوسائل ٢/ ١٩٥.

(١٩) هادي الطهراني/ ودايع النبوة ص١٥٥.

(٢٠) منهاج السنة ٤/ ٧٨.

(٢١) انظر: منهاج السنة ٤/ ٤٦.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]؛ فكل رسل الله وأنبياؤه كانوا يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

فقد قال نوح، وهود، وصالح، وشعيب عليهم السلام لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩ - ٦٥ - ٧٣ - ٨٥].

وقد قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...»(١).

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله...»(٢).

ومن الغريب أنهم يزعمون بلا حياء أن ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، وهذه دعوى لا سند لها من التاريخ والواقع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذه كتب الأنبياء التي أخرج الناس ما فيها من ذكر النبي ﷺ ليس في شيء منها ذكر عليٍّ.. وهؤلاء الذين أسلموا من أهل الكتاب لم يذكر أحد منهم أنه ذكر عليٌّ عندهم، فكيف يجوز أن يقال: إن كلاًّ من الأنبياء بعثوا بالإقرار بولاية عليٍّ، ولم يذكروا ذلك لأممهم، ولا نقله أحد منهم؟!»(٣).

وأين عقول هؤلاء القوم الذين يصدقون بهذه الترهات؟! لكن التعصب يطمس نور العقل، ويشل حركة التفكير.

ثم إن هناك من الآراء والمعتقدات ما يكفي في بيان فسادها مجرد عرضها، وهذا الرأي من هذا الصنف، إذ إن فساده وبطلانه من الأمور المعلومة بالضرورة.

ولقد تنبه بعض عقلائهم إلى أن هذه المقالة لا تخرج من ذي مسكة من عقل، فضلاً عن أثارة من علم، ولذلك حاولوا أن يعدلوا هذه الدعوى الشائهة إلى قول ربما يوجد من يصدقه، فقالوا وبئس ما قالوا أن الرسول ﷺ هو الذي وضع بذرة التشيع، وأن الشيعة ظهرت في عصره، وأن هناك بعض الصحابة الذين يتشيعون لعليٍّ، ويوالونه في زمنه ﷺ.

يقول القمي: «فأول الفرق الشيعة، وهي فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي ﷺ وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته، منهم المقداد بن الأسود الكندي، وسلمان الفارسي، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وعمار بن ياسر المذحجي.. وهم أول من سموا باسم التشيع من هذه الأمة»(٤). ويشاركه في هذا الرأي النوبختي(٥)، والرازي الإسماعيلي(٦).

ويقول أحد مراجعهم محمد حسين آل كاشف الغطا (ت ١٣٧٣هـ): «إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة؛ يعني أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب، وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والري حتى نمت وازدهرت في حياته، ثم أثمرت بعد وفاته»(٧)، وقال بهذا الرأي طائفة من الشيعة المعاصرين(٨).

وهذا الرأي لا أصل له في الكتاب والسنة، وليس له سند تاريخي ثابت، بل هو رأي يجافي أصول الإسلام وينافي الحقائق الثابتة، فقد جاء الإسلام لجمع هذه الأمة على كلمة سواء، لا ليفرقها شيعاً وأحزاباً، ولم يكن بين يدي رسول الله ﷺ شيعة ولا سنة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] لا التشيع ولا غيره، وهم يعترفون في قولهم: «إن بذرة

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] (١/ ١١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله (١/ ٥١ - ٥٢)، وغيرهما.

(٢) رواه البخاري ومسلم بألفاظ متقاربة، وما ذكر لفظ مسلم، انظر: صحيح البخاري كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (٢/ ١٠٨)، وصحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين (١/ ٥٠ - ٥١).

(٣) منهاج السنة ٤/ ٦٤.

(٤) المقالات والفرق ص١٥.

(٥) فرق الشيعة ص١٧، وقد وهم الشيبي في نقله لرأي النوبختي، حيث نسب إليه أنه يقول بأن التشيع نشأ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم (انظر: الصلة بين التصوف والتشيع ص٢٢).

(٦) انظر: الرازي (من شيوخ الإسماعيلية)/ الزينة ص٢٠٥ (مخطوط).

(٧) أصل الشيعة ص٤٣.

(٨) انظر: محسن العاملي/ أعيان الشيعة ١/ ١٣، ١٦، محمد جواد مغنية/ الإثنى عشرية وأهل البيت ص٢٩، هاشم معروف/ تاريخ الفقه الجعفري ص١٠٥، الوابلي/ هوية التشيع ص٢٧، الشيرازي/ هكذا الشيعة ص٤، محمد الحسني/ في ظلال التشيع ص٥٠ - ٥١، الزين/ الشيعة في التاريخ ص٢٩، ٣٠، المظفر/ تاريخ التشيع ص١٨، الصدر/ بحث حول الولاية ص٦٣، أحمد تفاحة/ أصول الدين ص١٨، ١٩.

التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب» بأن التشيع غير الإسلام. والله يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ومن الحقائق التاريخية المتواترة والتي تكشف خطأ هذا الرأي ومجانبته للحقيقة أنه لم يكن للشيعة وجود زمن أبي بكر وعمر وعثمان[١]. وقد اضطر بعض شيوخ الشيعة للإذعان لهذه الحقيقة، وهم الذين مردوا على إنكار الحقائق المتواترات، كما سيأتي.

وقد بنوا هذه المقالة على أصل لا سند له، وهو قولهم: إن الشيعة كانت تتألف من عمار وأبي ذر والمقداد، وقد ردَّ هذه المقالة العالم الشيعي الزيدي ابن المرتضى ببرهان لا محيد عنه حين أثبت أن من يدعون أنهم شيعة عليٍّ هم في واقع الحال شيعة لعمر إن كان هناك شيعة، والحقيقة أن الصحابة - رضي الله عنهم - كلهم شيعة لنبيهم ﷺ، يقول ابن المرتضى: «فإن زعموا أن عماراً، وأبا ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي كانوا سلفهم؛ لقولهم بإمامة علي - عليه السلام - أكذبهم كون هؤلاء لم يظهروا البراءة من الشيخين ولا السب لهم، ألا ترى أن عماراً كان عاملاً لعمر بن الخطاب في الكوفة[٢]، وسلمان الفارسي في المدائن[٣]»[٤]. وهذه الحقائق التاريخية الثابتة تنسف كل ما افتروه، وتبطل كل ما ادعوه، وتأتي على بنيانهم من القواعد.

ويرى الشيخ العلامة موسى جار الله - آخر شيخ للإسلام في روسيا - أن هذه المقالة (قولهم إن الرسول ﷺ هو الذي غرس بذرة التشيع) مغالطة فاحشة خرجت من حدود كل أدب، وأنها افتراء على النبي ﷺ ولعب بالكلمات، ويتعجب من قولهم: «إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة»، فيقول: «أي حبة بَذَرَ النبي حتى أنبتت سنابل اللعن والتكفير للصحابة وخير الأمة، وسنابل الاعتقاد بأن القرآن محرف بأيدي منافقي الصحابة، وأن وفاق الأمة ضلال، وأن الرشاد في خلافها، حتى توارت العقيدة الحقة في لجٍّ من ضلال الشيعة جم؟!»[٥].

وهذه المقالة لا صلة لها بما يراه بعض الباحثين القدامى والمعاصرين من القول بأن التشيع ظهر بعد وفاة الرسول ﷺ حيث وجد من يرى أحقية علي بالإمامة؛ لأن هذا الرأي منهم مبني على ما قيل من وجود من يقول بأحقية قرابة رسول الله ﷺ بالخلافة بعده.

يقول ابن خلدون: «اعلم أن مبدأ هذه الدولة [يعني دولة الشيعة] أن أهل البيت لما توفي رسول الله ﷺ كانوا يرون أنهم أحق بالأمر، وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم»[٦].

ويقول أحمد أمين: «كانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي ﷺ أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه»[٧]. كما قال بمثل ذلك بعض المستشرقين[٨].

وهذا القول يستند أصحابه إلى الرأي القائل بأحقية القرابة بالإمامة، ولا شك أنه إذا وجد من يرى أحقية عليٍّ بالإمامة، وأن الإمامة ينبغي أن تكون في القرابة، فقد وجد رأي يقول باستخلاف سعد بن عبادة وأن الإمامة ينبغي أن تكون في الأنصار، وهذا لا دلالة فيه على ميلاد حزب معين، أو فرقة معينة، وتعدد الآراء أمر طبيعي، وهو من مقتضيات نظام الشورى في الإسلام، فهم في مجلس واحد تعددت آراؤهم «وما انفصلوا حتى اتفقوا، ومثل هذا لا يعد نزاعاً»[٩]، ولا يدل على وجود فرقة، وبرهان ذلك أنهم كلهم «قد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبي بكر - رضي الله عنه - وكان علي - رضي الله عنه - سامعاً لأمره، وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد، ونهض إلى غزو بني حنيفة»[١٠]، «وكانوا - على

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ففي خلافة أبي بكر وعمر لم يكن أحد يسمى من الشيعة، ولا تضاف الشيعة إلى أحد» (منهاج السنة ٢/ ٦٤، تحقيق د. محمد رشاد سالم).
(٢) انظر: ابن الأثير/ أسد الغابة ٤/ ٦٤، ابن حجر/ الإصابة ٢/ ٥٠٦، ابن عبد البر/ الاستيعاب ٢/ ٤٧٣.
(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٨٧.
(٤) المنية والأمل ص١٢٤، ١٢٥.
(٥) الوشيعة ص: مه.
(٦) العبر ٣/ ١٠٧ - ١٧١.
(٧) فجر الإسلام ص٢٦٦، وانظر: ضحى الإسلام ٣/ ٢٠٩، وقال د. علي الخربوطلي: «ونحن نرى أن التشيع بدأ بعد أن آلت الخلافة إلى أبي بكر دون علي بن أبي طالب» (الإسلام والخلافة ص٦٢). كما يقول بهذا الرأي محمد عبد الله عنان (انظر: تاريخ الجمعيات السرية ص١٣).
(٨) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ١٤/ ٥٨.
(٩) ابن تيمية/ منهاج السنة ١/ ٣٦.
(١٠) الجويني/ الإرشاد ص٤٢٨.

حال ألفة، واجتماع كلمة - يبذلون في طاعة أئمتهم مهج أنفسهم، وكرائم أموالهم على السبيل التي كانوا عليها مع نبيهم»[١].

ولو كان هذا الرأي القائل بأحقية القرابة بالإمامة يمثل البذرة والنواة للتشيع لكان له ظهور ووجود زمن أبي بكر وعمر، ولكنه رأي إن ثبت فهو كسائر الآراء التي أثيرت في اجتماع السقيفة، ما إن وجد حتى اختفى بعد أن تمت البيعة، واجتمعت الكلمة، واتفق الرأي من الجميع. وموقف أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ينفي استمرار مثل هذه الآراء أو بقاءها بين الصحابة، فقد تواتر عنه من وجوه كثيرة أنه قال على منبر الكوفة: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر»[٢].

فكيف يرى غيره من الصحابة فيه ما لم يره في نفسه؟!

والشيعة ليس لها ذكر أو وجود في عهد أبي بكر ولا عمر ولا عثمان، فكيف يقال بنشأتها بعد وفاة الرسول ﷺ؟![٣]، وقد أقر بهذه الحقيقة بعض شيوخ الشيعة.

يقول آيتهم ومجتهدهم الأكبر في زمنه محمد حسين آل كاشف الغطاء: «لم يكن للشيعة والتشيع يومئذ [في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما] مجال للظهور؛ لأن الإسلام كان يجري على مناهجه القويمة»[٤]. وبمثل هذا اعترف شيخهم الآخر محمد حسين العاملي، فقال: «إن لفظ الشيعة قد أهمل بعد أن تمت الخلافة لأبي بكر، وصار المسلمون فرقة واحدة إلى أواخر أيام الخليفة الثالث»[٥]. والحق أنه لم يوجد أصلاً، إذ كيف يهمل، ولا يظهر، والحكومة كافرة في نظركم، كما هو متواتر في كتبكم، وهل كان المسلمون شيَعاً في عهد الرسول وفرقة واحدة في عهد الخلفاء الثلاثة؟!

القول المختار:

ولعل أقرب الأقوال إلى الصواب ما ذهب إليه الإمام ابن حزم من أن التشيع لعلي بدأ بمقتل عثمان - رضي الله عنه -، يقول ابن حزم: «ثم ولي عثمان، وبقي اثني عشر عاماً، وبموته حصل الاختلاف، وابتدأ أمر الروافض»[٦].

والذي بدأ غرس بذرة التشيع هو عبد الله بن سبأ اليهودي، وقد تواتر ذكره في كتب السنة والشيعة على حد سواء.

وهو رأس الطائفة السبئية وكانت تقول بألوهية علي، كما تقول برجعته وتطعن في الصحابة، وكان يهوديّاً يتظاهر بالإسلام، رحل لنشر فتنته إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته، وذهب إلى الكوفة أيضاً وما غادرها حتى ترك خلية تدعو لمذهبه، قال ابن حجر: «عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل، أحسب أن عليّاً حرَّقة بالنار»[٧]. وقد تكاثر ذكر أخبار فتنته وشذوذه وسعيه في التآمر هو وطائفته في كتب الفرق والرجال والتاريخ

---

(١) الناشئ الأكبر/ مسائل الإمامة ص١٥.

(٢) قال ابن تيمية: «روي عن عليٍّ من نحو ثمانين وجهاً وأكثر أنه قال على منبر الكوفة هذا القول - كما مر - وقد ثبت في صحيح البخاري من رواية رجال همدان خاصة التي يقول فيها علي: لو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان: ادخلي بسلام، من رواية سفيان الثوري عن منذر الثوري وكلاهما من همدان، قال البخاري: حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، حدثنا جامع بن أبي راشد، حدثنا أبو يعلى عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله؟ قال: أبو بكر قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين». (صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر ج ٧ ص٢٠).

قال ابن تيمية: وهذا يقوله لابنه الذي لا يتقيه (الفتاوى: ٤/ ٤٠٧ - ٤٠٨، منهاج السنة: ٤/ ١٣٧ - ١٣٨).

(٣) وما ذكره بعضهم من ظهور جماعة بعد وفاة الرسول ترى أحقية علي بالإمامة ليس له أصل تاريخي ثابت، ويبدو أن عمدته رواية اليعقوبي في تاريخه التي تقول بأن جماعة منهم سلمان وأبو ذر وعمار والمقداد تخلفوا عن بيعة أبي بكر ومالوا إلى علي (تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢٤). وروايات اليعقوبي ومثله المسعودي يجب الاحتراز والحذر منهما لجنوحهما للرفض، لاسيما فيما يوافق ميولهما المذهبية، وفيما ينفردان به من نقول. يقول القاضي أبو بكر بن العربي: «لا تسمعوا لمؤرخ كلاماً إلا للطبري، وغير ذلك هو الموت الأحمر والداء الأكبر». وقال في المسعودي المؤرخ: «إنه مبتدع محتال» (العواصم من القواصم ص٢٤٨ - ٢٤٩).

وأيضاً لأن الطبري يروي بالسند فيسهل فحص رواياته والتحقق منها.

(٤) أصل الشيعة ص٤٨.

(٥) الشيعة في التاريخ ص٣٩ - ٤٠.

(٦) الفصل ٢/ ٨، وبمثل قول ابن حزم هذا قال طائفة من العلماء والباحثين مثل: الشيخ عثمان بن عبد الله الحنفي صاحب الفرق المتفرقة بين أهل الزيغ والزندقة (انظر: الفرق المفترقة ص٦) ومثل المستشرق: فلهوزن (انظر: الخوارج والشيعة ص١١٢).

(٧) لسان الميزان ٣/ ٢٨٩.

وغيرها من مصادر السنة والشيعة جميعاً[1].

ونبتت نابتة من شيعة العصر الحاضر[2] تحاول أن تنكر وجوده بجرة قلم دون مبرر واقعي، أو دليل قاطع كما يقول د. عمار الطالبي[3]، بل ادعى بعضهم أن عبد الله بن سبأ هو عمار بن ياسر[4].

وهذه الدعوى هي محاولة أو حيلة لتبرئة يهود من التآمر على المسلمين، كما هي محاولة أو حيلة لإضفاء صفة الشرعية على الرفض، ومحاولة رد ما ثبت من الجذور اليهودية للتشيع الغالي.

وقد اتفق القدماء من أهل السنة والشيعة على السواء على اعتبار ابن سبأ حقيقة واقعية، وشخصية تاريخية ثابتة.

فالشيعي سعد بن عبد الله القمي - شيخ الطائفة وفقيهها ووجهها، كما ينعته النجاشي[5] (ت ٢٢٩ - ٣٠١هـ) - يقر بوجود ابن سبأ، ويذكر أسماء بعض أصحابه الذين تآمروا معه، ويلقب فرقته بالسبئية، ويرى أنها أول فرقة في الإسلام قالت بالغلو، ويعتبر ابن سبأ «أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وادعى أن علياً - رضي الله عنه - أمره بذلك»، ويذكر القمي أن

(١) انظر في ذلك: الملطي/ التنبيه والرد ص١٨، الأشعري/ مقالات الإسلاميين ١/ ٨٦، البغدادي/ الفرق بين الفرق ص٢٣٣، الشهرستاني/ الملل والنحل ١/ ١٧٤، الإسفراييني/ التبصير في الدين ص٧١ - ٧٢، الرازي/ اعتقادات فرق المسلمين ص٨٦، ابن المرتضى/ المنية والأمل ص٢٩، ابن عساكر/ تهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٤٣١، السمعاني/ الأنساب ٧/ ٤٦، ابن الأثير/ اللباب ١/ ٥٢٧، المقدسي/ البدء والتاريخ ٥/ ١٢٩، تاريخ الطبري ٤/ ٣٤٠، ابن الأثير/ الكامل ٣/ ٧٧، ابن كثير/ البداية والنهاية ٧/ ١٦٧، ابن خلدون/ العبر ٢/ ١٦١،١٦٠، الطبري/ تبصير أولي النهى الورقة (١٤) (مخطوط).

ومن مصادر الشيعة: الناشئ الأكبر/ مسائل الإمامة ص٢٢ - ٢٣، القمي/ المقالات والفرق ص٢٠، النوبختي/ فرق الشيعة ص٢٢، وأورد الكشي عدة روايات في ابن سبأ (رجال الكشي، انظر الروايات رقم: ١٧٠ - ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، من ص١٠٦ - ١٠٨)، ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة ٢/ ٣٠٨.

(٢) وهو: مرتضى العسكري في كتابه «عبد الله بن سبأ» ص٣٥ وما بعدها.

(٣) انظر: آراء الخوارج ص٧٥ - ٨١.

(٤) وهو: علي الوردي في كتابه (وعاظ السلاطين) ص٢٧٤، وقلده في هذا الشيعي الآخر: مصطفى الشيبي في كتابه (الصلة بين التصوف والتشيع) ص٤٠ - ٤١، ويرى الأستاذ علي البصري أن الوردي هذا مقلد للأستاذ هدايت الحكيم الهلي أستاذ بجامعة لندن في تلك الآراء وقد نشرها في كتابه: «تخس إمام» أي: الإمام الأول. وأن الوردي قام بنشر ترجمتها تقريباً في كتابه «وعاظ السلاطين».

(انظر: مجلة الثقافة الإسلامية/ بغداد/ العدد (١١)، السنة الأولى، مقال علي البصري بعنوان «من طلاب الشهرة علي الوردي»).

(٥) رجال النجاشي ص١٢٦.

علياً بلغه ذلك فأمر بقتله ثم ترك ذلك واكتفى بنفيه إلى المدائن[6].

كما ينقل عن جماعة من أهل العلم - كما يصفهم -: «أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم، ووالى علياً وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ في علي بمثل ذلك، وهو أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي بن أبي طالب وأظهر البراءة من أعدائه.. وأكفرهم، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية»[7]. ثم يذكر القمي موقف ابن سبأ حينما بلغه نعي علي حيث ادعى أنه لم يمت وقال برجعته، وغلا فيه[8].

هذا ما يقوله القمي عن ابن سبأ، والقمي عند الشيعة ثقة واسع المعرفة بالأخبار[9]، ومعلوماته - عندهم - مهمة نظراً لقدم فترتها الزمنية، ولأن سعداً القمي كما روى شيخهم الملقب عندهم بالصدوق قد لاقى إمامهم المعصوم - في نظرهم - الحسن العسكري وسمع منه[10]. ونجد شيخهم الآخر النوبختي يتحدث عن ابن سبأ ويتفق فيما يقوله عن ابن سبأ مع القمي حتى في الألفاظ نفسها[11]، والنوبختي ثقة معتمد عندهم[12]. وعالمهم الكشي[13] يروي ست روايات في ذكر ابن سبأ[14]، وذلك في كتابه المعروف بـ«رجال الكشي» الذي هو من أقدم كتب الشيعة المعتمدة في علم الرجال، وتشير تلك الروايات إلى أن ابن سبأ ادعى النبوة وأنه زعم أن أمير المؤمنين هو الله - تعالى الله وتقدس - وأن علياً استتابه فلم يتب، فأحرقه بالنار، كما ينقل الكشي لعن الأئمة لعبد الله ابن سبأ، وأنه كان يكذب على علي، كقول علي بن الحسين: «لعن الله من كذب علينا إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمراً عظيماً، ما له لعنه الله، كان علي -

(٦) المقالات والفرق ص٢٠.

(٧) المقالات والفرق ص٢٠.

(٨) المقالات والفرق ص٢١.

(٩) انظر: الطوسي/ الفهرست ص١٠٥، الأردبيلي / جامع الرواة ١/ ٣٥٢.

(١٠) انظر: ابن بابويه القمي/ إكمال الدين ص٤٢٥ - ٤٥٣.

(١١) انظر: فرق الشيعة للنوبختي ص٢٢ - ٢٣.

(١٢) انظر: الطوسي/ الفهرست ص٧٥، الأردبيلي/ جامع الرواة ١/ ٢٢٨، عباس القمي/ الكنى والألقاب ١/ ١٤٨، الحائري/ مقتبس الأثر ١٦/ ١٢٥.

(١٣) هو عندهم «ثقة بصير بالأخبار والرجال» (الطوسي/ الفهرست ١٧١).

(١٤) رجال الكشي ص١٠٦ - ١٠٨، ٣٠٥.

رضي الله عنه - والله عبداً لله صالحاً أخو رسـول الله ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته»[1].

ثم قال الكشـي بعد ذكر تلك الروايات: «ذكر أهل العلم أن عبد الله بن سـبأ كان يهوديّاً فأسـلم ووالـى عليّاً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو، فقال في إسـلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ في علي - رضي الله عنه - مثل ذلك، وكان أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشـف مخالفيه وأكفرهم، فمن ها هنا قال من خالف الشـيعة: أصل التشـيع والرفض مأخـوذ مـن اليهودية»[2]. هذه مقالة الكشـي وهي تتفق مع كلام القمي والنوبختي وكلهم يوثقون قولهم هذا بنسبته إلى أهل العلم.

ثم إن هذه الروايات الست كلها جاءت في رجال الكشي، الـذي يعتبرونه أحد الأصول الأربعة التـي عليها المعول في تراجم الرجال، وقام الطوسي شيخ الطائفة عندهم بتهذيب الكتـاب، فصار عندهم أكثر ثقة وتحقيقـاً حيث اجتمع في تأليفه الكشي الذي هو عندهم ثقة بصير بالأخبار وبالرجال مـع الطوسـي وهو صاحـب كتابين من صحاحهـم الأربعة، ومؤلف كتابين من كتبهم الأربعة المعول عليها في علم الرجال عندهم[3]، بل هو شيخ الطائفة عند الإطلاق، فإذا أطلق هذا اللقب عندهم لم ينصرف إلا إليه.

ثم إن كثيراً من كتب الرجال الأخرى عندهم جاءت على ذكر ابن سبأ[4]، كما جاء ذكر ابن سبأ في أهم وأوسع كتبهم الرجالية المعاصرة وهو «تنقيح المقال»[5] لشـيخهم عبد الله الممقاني[6] (ت ١٣٥١هـ).

وتراجـع عن إنـكاره طائفة من شـيوخهم وأذعنوا للحقيقة، يقول - مثلاً - محمد حسـين الزين: «وعلى كل حـال فـإن الرجـل [أي: ابن سـبأ] كان فـي عالم الوجـود، وأظهـر الغلو، وإن شـك بعضهـم في وجوده وجعله شـخصاً خيالياً.. أما نحن - بحسب الاستقراء الأخير - فلا نشك بوجوده وغلوه»[7].

ولا ريب أن التشيع السبئي الذي ظهر بعد استشهاد عثمان بتدبير من السـبئية اليهودية التلمودية بالتعاون مع المجوسـية الفارسـية قد توارى خلف شتى الأقنعة، ومن ذلك أنهم بعد مقتل الحسـين تقنعوا باسم التشيع للحسـين والأخذ بثـأره، ولهذا يذهـب بعضهم إلى أن التشـيع ولد إثـر مقتل الحسـين. يقول شـتروتمان[8] (Strotnmann, R): «إن دم الحسـين يعتبـر البذرة الأولى للتشيع كعقيدة»[9].

لكن عقائد الشـيعة الإثنى عشـرية لم تولد فجأة، بـل إنها أخـذت طوراً زمنيـاً، ومرت بمراحـل.. ولكن طلائع العقيدة الشـيعية وأصل أصولها ظهرت على يد السـبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي، وأن علياً وصي محمـد، وهذه عقيدة النص على علـي بالإمامة، وهي أسـاس التشيع كما يعترف به شـيوخ الشيعة أنفسهم، وشهدت كتبهم بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعـن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسـول الله ﷺ وأرحامه وخلفائـه وأقرب الناس إليه - رضي الله عنهم - والطعن في الصحابة الآخرين، وهذه عقيدتهم في الصحابة كما هي مسجلة في كتبهم المعتمدة.

---

(١) المصدر السابق ص١٠٨.
(٢) المصدر السابق ص١٠٨ - ١٠٩.
(٣) وما نقلناه عن الكشي هو من تذهيب الطوسي واختياره؛ لأن الأصل - كما يقولون - مفقود لا يعرف له أثر (انظر: مقدمة رجال الكشي ص١٧ - ١٨، يوسف البحراني/ لؤلؤة البحرين ص٤٠٣).
(٤) لعل أقدم مصدر عند الشيعة تحدث عن ابن سبأ والسبئية كتاب «مسائل الإمامة» لعبد الله الناشئ الأكبر (المتوفى سنة ٢٩٣هـ) (ص٢٢ - ٢٣).
(راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٣/ ٩١ - ٩٢، أنباء الرواة ٢/ ١٢٨ - ١٢٩).
ومن كتبهم في الرجال التي جاءت على ذكر ابن سبأ: المازندراني/ منتهى المقال (غير مرقم الصفحات)، الإسترآبادي/ منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال ص٢٠٣ - ٢٠٤، الأردبيلي/ جامع الرواة ١/ ٤٨٥، ابن داود الحلي/ الرجال ٢/ ٧١، التستري/ قاموس الرجال ٥/ ٤٦١ وما بعدها، رجال الطوسي ص٥١.
ومن كتبهم في الحديث والفقه التي جاء فيها ذكر ابن سبأ: ابن بابويه القمي/ من لا يحضره الفقيه ١/ ٢١٣، الخصال ص٦٢٨، الطوسي، تهذيب الأحكام ٢/ ٣٢٢، المجلسي/ بحار الأنوار ٢٥/ ٢٨٦ وما بعدها.
(٥) تنقيح المقال ٢/ ١٨٣.
(٦) انظر: الأعلمي/ مقتبس الأثر ٢١/ ٢٣٠.
(٧) الشيعة في التاريخ ص٢١٣.
(٨) رودلف شتروتمان من المستشرقين المتخصصين في الفرق ومذاهبها، وله عنها مباحث. من آثاره: الزيدية، وأربعة كتب إسماعيلية.
(انظر: نجيب العقيقي/ المستشرقون ٢/ ٧٨٨).
(٩) دائرة المعارف الإسلامية ١٤/ ٥٩.

كمـا أن ابن سـبأ قال برجعة علـي[١]، والرجعة من أصول الشيعة أيضاً. وقال بتخصيص علي وأهل البيت بعلوم سرية خاصة، كما أشار إلى ذلك الحسن بن محمد ابن الحنفية[٢] (ت ٩٥ أو ١٠٠هـ) في رسالة الإرجاء[٣].

وهـذه المسـألة أصبحـت من أصـول الاعتقاد عند الشـيعة، وقد ثبت في صحيح البخاري ما يدل على أن هــذه العقيــدة ظهرت في وقت مبكـر، عن أبي جحيفة رضـي الله عنه، قال: قلت لعلي: هل عندكم شـيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «لا والذي فَلَقَ الحبة، وبـرأ النسـمة، مـا أعلمه إلا فهمـاً يعطيـه الله رجلاً فــي القـرآن، وما في هــذه الصحيفة»، قلـت: وما في الصحيفـة؟ قال: «العقل، وفكاك الأسـير، وأن لا يقتل مسلم بكافر»[٤].

هــذه أهم الأصول التــي تدين بها الشـيعة[٥]، وقد وجـدت إثـر مقتل عثمـان في عهد علـي - رضي الله عنهما -، ولم تأخذ مكانها في نفوس فرقة معروفة، بل

---

(١) انظر: القمي/ المقالات والفرق ص٢١، النوبختي/ فرق الشيعة ص٢٣، الناشئ الأكبر/ مسائل الإمامة ص٢٢ - ٢٣، الأشعري/ مقالات الإسلاميين ١/ ٨٦، الملطي/ التنبيه والرد ص١٨، البغدادي/ الفرق بين الفرق ص٢٣٧، الإسفراييني/ التبصير في الدين ص٧٢، الرازي/ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص٢٤٢، الإيجي / المواقف ص٤١٩.

(٢) قال ابن حجر: الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، أبو محمد المدني، وأبوه يعرف بابن الحنفية. له رسالة في الإرجاء أخرجها محمد بن يحيى العدني في كتاب الإيمان. انظر تهذيب التهذيب ٢/ ٣٢.

(٣) رسالة الإرجاء (ضمن كتاب الإيمان، لمحمد بن يحيى العدني ص٢٤٩ - ٢٥٠).

(٤) وقد أخرج الإمام البخاري هذا الحديث في باب كتاب العلم (البخاري مع الفتح ١/ ٢٠٤) وباب حرم المدينة (البخاري مع الفتح ٤/ ٨١) وباب فكاك الأسير (٦/ ١٦٧)، وباب ذمة المسلمين وجوارهم (٦/ ٢٧٣) وباب إثم من عاهد ثم غدر (٦/ ٢٧٩ - ٢٨٠) وباب إثم من تبرأ من مواليه (١٢/ ٤١ - ٤٢) وباب العاقلة (١٢/ ٢٤٦) وباب لا يقتل مسلم بكافر (١٢/ ٢٦٠)، وباب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو (١٣/ ٢٧٥ - ٢٧٦). وأخرجه مسلم في باب فضل المدينة وبيان تحريمها (مسلم مع النووي ٩/ ١٤٣ - ١٤٤) وكتاب الذبائح (مسلم مع النووي ١٣/ ١٤١). وأخرجه النسائي (المجتبى ٨/ ١٩). والترمذي (٤/ ٦٦٨)، وأحمد (المسند ١/ ١٠٠).

(٥) مما ينبغي أن يلحظ أن ربط نشأة التشيع بابن سبأ هو في التشيع المتضمن لهذه الأصول الغالية، أما «التشيع المتوسط والذي مضمونه تفضيل علي وتقديمه على غيره ونحو ذلك فلم يكن هذا من إحداث الزنادقة، بخلاف دعوى النص والعصمة فإن الذي ابتدع ذلك كان منافقاً زنديقاً» (ابن تيمية/ مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٦٦)، وهو ابن سبأ وعصابته من اليهود والمنافقين والحاقدين والموتورين، وهؤلاء هم من يطلق عليهم لقب الشيعة في عصرنا، ومن سواهم يقال لهم: زيدية أو إسماعيلية.

إن السـبئية ما كادت تطل برأسـها حتى حاربها علي - رضــي الله عنــه -[٦]، ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جـواً صالحاً لظهور هذه العقائـد، وتمثلها في جماعة، وذلـك كمعركة صفين، وحادثة التحكيـم التي أعقبتها، ومقتل علي، ومقتل الحسـين.. كل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف إلى التشـيع لآل البيت، فتسلل الفكر الوافد من نافذة التشـيع لعلي وآل بيته، وصار التشـيع وسـيلة لكل من أراد هدم الإسـلام مــن ملحد ومنافق وطاغوت، ودخلت إلى المسلمين أفكار ومعتقدات أجنبية اكتسـت بثوب التشـيع وتيسـر دخولها تحـت غطائه، وبمــرور الأيام كانت تتسـع البدعـة ويتعاظم خطرها، حتى وجد لابن سبأ خلفاء كثيرون.

ولذلــك قرر ابن حزم أن التشـيع يرجع إلى أصول فارسـية مجوسـية، ويعلل ذلك بـ«أن الفرس كانت من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسـها بحيث إنهم كانوا يسـمون أنفسهم الأحرار والأسـياد، وكانوا يعدون سـائر الناس عبيداً لهم، فلما امتُحنـوا بــزوال الدولـة عنهم على أيـدي العرب، كان العــرب عند الفرس أقـل الأمم خطراً، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شـتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق.. فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسـلام، واسـتمالوا أهل التشـيع، بإظهـار محبة أهـل البيت، واستبشاع ظلم علي - بزعمهم - ثم سلكوا بهم مسالك حتى أخرجوهم عن طريق الهدى»[٧].

---

(٦) قد أمر بإحراق أولئك الذين ادعوا فيه الألوهية (انظر: ابن تيمية/ منهاج السنة ١/ ٢١٩ تحقيق د. محمد رشاد سالم، فتح الباري ٢/ ٢٧٠، الملطي/ التنبيه والرد ص١٨، الإسفراييني/ التبصير في الدين ص٧٠). وأما السبابة الذين يسبون أبا بكر وعمر فإن عليّاً لما بلغه ذلك طلب ابن السوداء الذي بلغه ذلك عنه، وقيل: إنه أراد قتله، فهرب منه. وأما المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فروي أنه قال: «لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري» (منهاج السنة ١/ ٢١٩ - ٢٢٠).

(٧) ابن حزم/ الفصل ٢/ ٢٧٣، وانظر: المقريزي/ الخطط ٢/ ٣٦٢.